نزار قباني

هكذا أكتب تاريخ النساء

مكتبة زهران
١٥ شارع الشيخ محمد عبده خلف الجامع الأزهر
ت: ٢٥١٤٢٩٥٥

رقم الإيداع: ١٧٠٨٧ / ٢٠١١

مدخل



مدخل ١

اقرأيني .. كي تحسي . دائماً بالكبرياءْ

اقرأيني .. كلما فتشتِ في الصحراءِ عن قطرةِ ماءْ

اقرأيني .. كلما سدوا على العشاقِ أبوابَ الرجاءْ

أنا لا أكتبُ حُزْنَ امرأةٍ واحدةٍ

إنني أكتبُ تاريخَ النساءْ...

مدخل ٢

في البدءِ كان الشعرُ، والنثرُ هو استثناءْ

في البدءِ كان البحرُ، والبرُّ هو استثناءْ

في البدءِ كان النهدُ، والسفحُ هو استثناءْ

في البدءِ كنتِ أنتِ .. ثم كانتِ النساءْ

مدخل ٣

كلُّ أنثى أحِبُّ .. أولُ أنثى..
ليس عندي في الحبِّ .. حبٌّ أخيرُ

***

ماذا ؟

أيُّ انقلابٍ سوف يحدثُ في حياتي ؟
لو أعشقُ امرأةً تكونُ بمستواكَ.
أي انقلابٍ سوف يحدثُ - لو أحبكِ -
في نظامِ الكائناتِ..
أيِ ارتجاجٍ في ضميرِ الكون..
لو مرتْ على رأسي يداكِ...
لو مثلُك امرأةٌ تكونُ حبيبتي..
عمّرتُ للعشّاق ألفَ مدينةٍ..
و بسطتُ سلطاني
على كلِّ الممالِك و اللغاتِ..
لو مثلُكِ امرأةٌ .. تكونُ حبيبتي
ماذا سيحدث في الطبيعةِ من عجائبْ..
ماذا سيحدثُ للبحارِ، والمراكبْ..

ماذا سيحدثُ للكواكبْ ؟

ماذا سيحدثُ للحضارة..

للمدينة ، لو رأتْ عينيْكِ ، أو سمعتْ خُطاكِ..

ماذا سيحدثُ للفنونِ إذا تشكلَ ناهداكِ..

ماذا سيحدثُ للثقافةِ كلِّها ؟

لو أعشقُ امرأةً تكونُ بمستواكِ..

***

أريدكِ أنثى..

(١)

أريدُك أنثى..
ولا أدَّعي العلمَ في كيمياءِ النساء
ومن أين يأتي رحيقُ الأنوثهْ
وكيف تصيرُ الظباءُ ظباءْ
وكيفَ العصافيرُ تتقنُ فنَّ الغناءْ
أريدكِ أنثى..
وأعرفُ أنَّ الخياراتِ ليستْ كثيرهْ
فقد أستطيعُ اكتشافَ جزيرهْ
وقد أستطيعُ العثورَ على لؤلؤهْ
ولكنَّ من ثامنِ المعجزاتِ، اختراعَ امرأهْ..

(٢)

أريدكِ أنثى..

و أجهلُ كيف يركبُ هذا لعقارُ الخطيرْ

و أجهلُ كيف الفراشةُ تكتبُ شعراً..

وَكيفَ الأناملُ تقطرُ شهدا

و أجهلُ أيَّ بلادٍ يبيعونَ فيها الحريرْ

أريدكِ أنثى..

بخطكِ هذا الصغيرِ.. الصغيرْ..

ونهدِكِ هذا المليءِ.. المضيءِ.. الجريءْ..

الفريدِ.. الأميرِ..

(٣)

أريدُكِ أنثى..

ولا أتدخلُ بين النبيذِ وبينَ الذهبْ..

وبين الكريستالِ.. والأقحوانْ

ولستُ أفرقُ بينَ بياض يديكِ

وبينَ مداساتِ هذا البيانْ..

ويكفي حضورُ كي لا يكونَ المكان

ويكفي مجيئُك كي لا يجيء الزمانْ

وتكفيُ ابتسامةُ عينيك كي يبدأَ المهرجان

فوجهك تأشيرتي لدخولِ بلادِ الحنانْ..

(٤)

أريدكِ أنثى

كما جاءَ في كتبِ الشعر منذ ألوفِ السنين

وما جاءَ في كتبِ العشق والعاشقين

وما جاءَ في كتبِ الماءِ.. والورد.. والياسمين

أريدكِ وادعةً كالحمامةْ..

وصافيةً كمياه الغمامةْ..

وشاردةً كالغزالةْ،

ما بين نجدٍ.. وبين تهامةْ..

٥

أريدكِ .. مثلَ النساءِ اللواتي
نراهنَّ في خالداتِ الصورْ
ومثل العذارَى اللواتي
نراهنَّ فوق سقوف الكنائس
يغسلن أثداءَهنَّ بضوءِ القمرْ
أريدكِ أنثى .. ليخضرَّ لونُ الشجرْ
ويأتي الغمامُ إلينا .. ويأتي المطرْ..
أريدكِ أنثى ولا أدعيكِ لنفسي
ولكنْ .. ليسعدَ كلُّ البشرْ..

٦

أريدكِ أنثى
لتبقى الحياةُ على أرضِنا ممكنهْ..
وتبقى القصائدُ في عصرِنا ممكنهْ...

وتبقى الكو اكبُ والأزمنهْ ا

وتبقى المر اكبُ ، والبحرُ ، و الأحرفُ الأبجديهْ

فما دمتِ أنثى فنحنُ بخير

وما دمتِ أنثى..

فليس هنالك خوفٌ على المدينهْ

٧

أريدكِ أنثى

بزينتِكِ المدرسيهْ

وأطواقكِ المعدنيهْ

وشعرٍ طويلٍ وراءَك يجري كذيلِ الحصانْ

وحُمرةِ ثغرٍ خفيفهْ

ورشةِ عطرٍ حفيفهْ

ولمسةِ كحلٍ خفيفهْ

ونهدٍ أُربيه مثلَ الطيور الأليفهْ

و أمنحهُ التاجَ والصولجانْ..

٨

أريدكِ أنثى..

وهذا رجائي الوحيدُ إليكِ

وآخرُ أمنيةٍ أتوجهُ فيها إلى شفتيكِ

أريدكِ باسمِ الطفولةِ أنثى..

وباسمِ الرجولةِ أنثى..

وباسم الأمومةِ أنثى..

وباسم جميع المُغنين والشعراءْ

وباسمِ جميعِ الصحابةِ والأولياءْ

أريدكِ أنثى..

فهل تقبلينَ الرجاءْ ؟

٩

أريدكِ أنثى اليديْن

وأنثى بهسهسةِ القرطِ في الأذنين

وأنثى بصوتِكِ .. أنثى بصمتِكِ..

أنثى بضعفِكِ .. أنثى بخوفِكِ

أنثى بطهرِكِ .. أنثى بمكرِكِ..

أنثى بمشيتِكِ الرائعهْ

وأنثى بسُلطتِكِ التاسعهْ..

وأنثى أريدكِ، من قمةِ الرأسِ للقدمينْ..

فكوني سألتُكِ كلَّ الأنوثةِ..

لا امرأةً بينَ .. بينْ..

١٠

أريدُكِ أنثى..

لأن الحضارَةَ أنثى..

لأن القصيدةَ أنثى..

وسنبلةَ القمحِ أنثى..

وقارورةَ العطرِ أنثى..

وباريسَ- بينَ المدائنِ - أنثى..

وبيروتَ تبقى- برغمِ الجراحات- أنثى..

فباسمِ الذين يريدونَ أن يكتبوا الشعرَ .. كوني امرأهْ..

وباسمِ الذين يريدونَ أن يصنعوا الحبَّ ... كوني امرأهْ ..

وباسمِ الذين يريدونَ أن يعرفوا الحقَّ .. كوني امرأهْ..

***

ربما..

(١)

أنا لم أعشقْكِ حتى الآنَ .. لكنْ ربما..
تحدثُ المعجزةُ الكبرى .. وتنشقُّ السما..
عن فراديسَ عجيبهْ..
وتصيرينَ الحبيبهْ..
وتصيرُ الشمسُ يا سيدتي
خاتماً بينَ يديَّ..
وأرى في حلمي وجهَ النبي
وأرى الجنةَ من نافذتي والأنجما..
ربما..

(٢)

أنا لم أعشقْكِ حتى الآنَ .. لكنْ ربما..
يضربُ الطوفانُ شطآنَ حياتي

ويجيءُ البحرُ من كلِّ الجهاتِ ..
ربما يحتاجني الإعصارُ في يومٍ غدٍ
ربما بعدَ غدٍ..
ربما في أشهرٍ أو سنواتِ..
فاعذريني إن تريثتُ قليلاً..
فأنا أختارُ في شكلٍ دقيقٍ كلماتي..
معجبٌ فيكِ أنا..
غير أنَّ الحبَّ ما بللَ بالدمعِ سريري ..
أو رمى أزهارَهُ في شرفاتي..

(٣)

أنا لم أعشقْكِ حتى الآنَ .. لكنْ..
سوفَ تأتي ساعةُ الحبِّ التي لا ريبَ فيها ..
وسيرمي البحرُ أسماكاً على نهديكِ لم تنتظريها .
وسيهديكِ كنوزاً ، قبلُ ، لم تكتشفيها..

سيجيءُ القمحُ في موعدِهِ ..
ويجيءُ الوردُ في موعدِهِ ..
وستنسابُ الينابيعُ ، وتخضرُّ الحقولْ
فاتركي الأشجارَ تنمو وحدَها ..
واتركي الأنهارَ تجري وحدَها ..
فمن الصعبِ على الإنسانِ تغييرُ الفصولْ ..

(٤)

ربما كنتِ أرقَّ امرأةٍ ..
وُجِدتْ في الكونِ ، أو أحلى عروسْ ..
ربما كنتِ برأي الآخرينْ
قمرَ الأقمارِ ، أو شمسَ الشموسْ
ربما كنتِ جميلهْ ..
مثلَ لون البحرِ ، أو لون الطفولهْ
غيرَ أنَّ الحبَّ – مثلَ الشعرِ عندي –

لا يُلبيني بيسْرٍ وسهولهْ..
فاعذريني إن ترددتُ ببوحي..
وتجاهلتُكِ صدراً، وقواماً، وجمالا..
إنَّ حبي لكِ ما زالَ احتمالا..
فاتركي الأمرَ إلى أنْ يأذنَ اللهُ تعالى..

(٥)

اشربي القهوةَ يا سيدتي..
ربما يأتي الهوى كالمسيحِ المنتظرْ..
ليس عندي الآنَ ما أعلنهُ..
فلقد يأتي .. ولا يأتي الهوى
ولقد يلغي مواعيدَ السفرْ..
ربما أكتبُ شعراً جيداً..
غير أني لم أحاولْ أبداً من قبلُ إسقاطَ المطرْ
لا ولا حاولتُ أن أخرجَ من جيبي القمرْ..

إنَّ للحبِّ قوانينَ فلا ..

تستبقي وقتَ الثمرْ...

(٦)

اشربي القهوةَ يا سيدتي..

وابحثي في صفحة الأزياءِ عن ثوبٍ جميلٍ ..

أو سوارٍ مبتكرْ..

وابحثي في صفحة الأبراجِ عن عصفورةٍ خضراءَ..

تأتيكِ بمكتوبٍ جديدٍ .. أو خبرْ..

إشربي القهوةَ يا سيدتي..

فالجميلاتُ قضاءٌ وقدرْ..

والعيونُ الخضرُ و السودُ ..

قضاءٌ وقدرٌ..

(٧)

هل أنا أهواكِ ؟ . لا شيءَ أكيدْ..

هل أنا مُضطربُ الرؤيةِ والتفكيرِ .. لا شيءَ أكيدْ..
هل أنا منشطرُ النفسِ إلى نفسينِ .. لا شيءَ أكيدْ
هل حياتي شَبَّتِ النارُ بها ؟
هل ثيابي اشتعلتْ ؟ هل حروفي اشتعلتْ ؟
هل دموعي اشتعلتْ ؟
هل أنا ضوءٌ سماويٌّ .. وإنسانٌ جديدْ ؟
لا تسمي ذلك الإعجابَ يا سيدتي حبّاً..
فإن الحبَّ لا يأتي إذا نحنُ أردناهُ ..
ويأتي كغزالٍ شاردٍ حين يريدْ..

(٨)

اشربي القهوةَ ، يا مائيةَ الصوتِ ، وخضراءَ العيونْ..
فعلى خارطةِ الأشواقِ لا أعرفُ في أيِّ مكانٍ سأكونْ..
ومتى يذبحني سيفُ الجنونْ ؟
فلماذا تكثرينَ الأسئلهْ ؟

ولماذا أنتِ، يا سيدتي ، مستعجلهْ . ؟

أنا لا أنكرُ إعجابي بعينيْكِ ، فإعجابي بعينيكِ قديمْ..

لا ولا أنكر تاريخي مع العطرِ الفرنسيِّ الحميمْ

ومع النهدِ الذي كسَّر أبوابَ الحريمْ..

غير أني لم أزلْ أفتقدُ الحبَّ العظيمْ ..

آهِ ما أروعَ أن ينسحقَ الإنسانُ في حبٍّ عظيمْ..

فامنحيني فرصةً أخرى .. فقد

يكتبُ اللهُ عليَّ الحبَّ .. و اللهُ كريمْ ..

(٩)

أنا لم أعشقْكِ حتى الآنَ .. لكنْ من سيدري ؟

ما الذي يحدثُ في يومٍ وليلهْ..

من سيدري ؟

ربما تنمو أزاهيرُ المانوليا فوق ثَغْري

ربما تأوي ملايينُ الفراشاتِ إلى غاباتِ صدري..

ربما تمنحني عيناكِ عمراً فوقَ عمري..
من سيدري ؟
ما الذي يحدثُ للعالمِ لو أني عشقتْ..
هل يجيءُ الخيرُ والرزقُ، ويزدادُ الرخاءْ ؟
هل ستزدادُ قناديلُ السماءْ..
هل سيمضي زمنُ القبحِ .. ويأتي الشعراءْ
ثم هل يبدأ تاريخٌ جديدٌ للنساءْ . ؟
من سيدري ... ؟

(١٠)

اشربي قهوتكِ الآنَ .. ولا تستعجليني..
فأنا أجهلُ أوقاتَ العصافيرِ، كما أجهلُ وقتَ الياسمينِ..
فاعذريني..
إن أنا قصرتُ في التعبيرِ عما يعتريني..
فأنا أجهلُ في أيِّ نهارٍ سوف أعشقْ..

ومتى يضربني البرقُ ، وفي أي بحارٍ سوف أغرقْ

وعلى أي شفاهٍ سوف أرسو..

وعلى أي صليب سأُعَلَّقْ..

آهِ .. لو أعرفُ ماً يحدثُ في داخل قلبي..

إنَّ أمرَ الحبِّ يا سيدتي من علمِ ربيّ

فاتركي الأمرَ لتقدير السما..

ربما ندخلُ في مملكة العشقِ قريباً..

ربما..

***

صورة خصوصية جداً

من أرشيف السيدة م

(١)

الركبةُ الملساءُ .. والشفةُ الغليظةُ ..

والسراويلُ الطويلةُ والقصيرهْ

إني تعبتُ من التفاصيلِ الصغيرهْ..

ومن الخطوطِ المستقيمةِ .. والخطوط المستديرهْ...

وتعبتُ من هذا النفيرِ العسكريِّ

إلى مُطارحةِ الغرامْ

النهدُ .. مثلُ القائدِ العربيِّ يأمرني :

تقدمْ للأمامْ..

والفلفلُ الهنديُّ في الشفتين يهتفُ بي:

تقدمْ للأمامْ..

و الأحمرُ العنبيُّ فوقَ أصابع القدمينِ .. يصرخُ بي

تقدمْ للأمامْ..

إني رفعتُ الرايةَ البيضاءَ، سيدتي، بلا قيدٍ ولا شرطٍ

ومفتاحُ المدينةِ تحتَ أمركِ..

فادخليها في سلامْ..

جسدي المدينةُ..

فادخلي من أيّ بابٍ شئتِ أيتها الأميرهْ..

وتصرفي بجميعِ ما فيها.. ومن فيها...

وخليني أنامْ..

(٢)

الركبةُ البيضاءُ.. والحمراءُ.. والخضراء

كيف أميزُ الألوانَ؟

إن زجاجةَ الفودكا تحيلُ ثقافتي صفراً..

وترجعني إلى جهلِ العشيرهْ..

وتضخم الإحساسَ بالأشياءِ..

ترميني عليكِ كأنكِ الأنثى الأخيرهْ..

(٣)

مايا تغني- وهي تحت الدوشِّ- أغنيةً من اليونان رائعةً..

وتضحكُ دونما سببٍ..

وتغضبُ دونما سببٍ

وترضى دونما سببٍ

ويدخلُ نهدُها الذهبيُّ في لحمِ المرايا ..

مايا تناديني..

لأعطيَها مناشفَها..

وأعطيهَا مكاحلَها..

وأعطيهَا خواتمَها الملونةَ المثيرهْ

مايا تقولُ بأنها لم تبلغِ العشرينَ بعدُ..

وأنها ما قاربتْ أحداً سوايا...

وأنا أصدّقُ كلّ ما قالَ النبيذُ..

وكلّ ما قالتهُ مايا..

(٤)

مايا على (الموكيتْ) حافيةٌ..
وتطلبُ أن أساعدَها على ربط الضفيرهْ
وأنا أواجهُ ظهرَها العاري..
كطفلٍ ضائعٍ ما بينَ آلاف الهدايا..
الشمسُ تشرقُ دائماً من ظهرِ مايا...

(٥)

من أينَ أبدأُ رحلتي ؟
والبحرُ من ذهبٍ.. ومن زغبٍ..
وحولَ عمودِها الفقريِّ أكثرُ من جزيرهْ
منْ يا تُرى اخترعَ القصيدةَ والنبيذَ وخصرَ مايا...
مايا لها إبطانُ يخترعان عطرَهما..
ويكتشفان رائحةَ الطريدهْ..

مايا تسافرُ في انحناءاتِ النبيذِ..

وفي انحناءاتِ الشعورِ..

وفي إضاءاتِ القصيدهْ...

وأنا أسافرُ في أنوثتِها وضحكتِها..

وأرسو كلَّ ثانيةٍ على أرضٍ جديدهْ..

مايا تقولُ بأنني الذكرُ الوحيدُ..

وإنها الأنثى الوحيدهْ..

وأنا أصدقُ كلَّ ما قال النبيذُ....

وكلَّ ما قالتهُ مايا...

(٦)

مايا لها نهدانِ شيطانانِ همهُما مخالفةُ الوصايا.

مايا مخرّبةٌ.. وطيبةٌ..

وماكرةٌ.. وطاهرةٌ..

وتحلو حينَ ترتكبُ الخطايا...

الحَرُّ في تموزَ يجلدني على ظهري ..

فكيف يمارسُ الإنسانُ فنّ الحبّ في عِزّ الظهيرهْ ؟

والموتَ في عِزّ الظهيرهْ . ؟

(٧)

مايا وراءَ ستارةِ الحمامِ واقفةً كسنبلةٍ..

وتروي لي النوادرَ والحكايا..

وأنا أرى الأشياءَ ثابتةً .. ومائلةً..

وحاضرةً .. وغائبةً..

وواضحة .. وغامضةً..

فتخذلني يدايا..

مايا مبللةٌ وطازجةٌ كتفاحِ الجبالِ..

وعند تقاطعِ الخلجان قد سالتْ دمايا..

مايا تكررُ أنها ما لامستْ أحداً سوايا..

وأنا أصدقُ كلَّ ما قالَ النبيذُ..

ونصفَ ما قالتهُ مايا..

(٨)

مايا مهيأةٌ كطاووسٍ ملوكيّ..

وزهرةِ جلنارْ..

مايا تفتشُ عن فريستِها كأسماكِ البحارْ..

فمتى سأتخذُ القرارْ ؟

(٩)

هذي شواطئُ حضرموتَ..

وبعدها .. تأتي طريقُ الهندِ..

إنّ مراكبي داختْ..

وبين الطحلب البحريِّ والمرجانِ..

تنفتحُ احتمالاتٌ كثيرهْ..

ماذا اعتراني ؟

إن أفريقيا على مرمَى يدي..

ومجاهلُ البنغالِ أخطرُ من خطيرهْ..

مايا تناديني..

فتنفجرُ المعادنُ..

والفواكهُ..

والتوابلُ..

والبهارْ..

هذا النبيذُ أساءَ لي جدّاً...

وأنساني بداياتِ الحوارْ..

فمتى سأتخذُ القرارْ. ؟

(١٠)

مايا تغني من مكانٍ ما..

ولا أدري على التحديدِ أينَ مكانُ مايا..

كانتْ وراءَ ستارةِ الحمامِ ساطعةً كلؤلؤةٍ..

وحوّلها النبيذُ إلى شظَايا...

(١١)

مايا تقولُ بأنها امرأتي..

ومالكتي..

ومملكَتي..

وتحلفُ أنها ما ضاجعتْ أحداً سوايا..

وأنا أصدقُ كلّ ما قالَ النبيذُ..

ورُبعَ ما قالته مايا..

***

قصيدة حب ١٩٨٠

(١)

في نهاياتِ شهرِ ديسمبر من كلِّ عامْ

يصبحُ دمي بنفسجيًّا..

تهجمُ كرياتُ العشقِ على بقيةِ الكرياتْ

وتأكلُها...

تهجمُ الكلمةُ الأنثى على بقيةِ الكلماتْ

وتطردُها...

ويكتشفون من تخطيطِ قلبي..

أنه قلبُ عصفورْ..

أو قلبُ سمكهْ..

وأن مياهَ عينيكِ الدافئهْ..

هي بيئتي الطبيعيهْ

و الشرطُ الضروريّ لاستمرارِ حياتي ..

(٢)

في نهاياتِ شهر ديسمبر من كلِّ عامْ

عندما تصبحُ المكتباتْ

غابةً من البطاقاتِ الملونهْ

ويصبحُ مكتبُ البريدْ

حقلاً من النجومِ ... والأزهارِ ... والحروف المقصّبهْ

أقعُ في إشكالٍ لغويّ كبيرْ..

أسقطُ من فوقِ حصان الكلماتْ

كرجلٍ لم يرَ الخيلَ في حياتهْ..

ولم يرَ النساءْ..

آخذُ صفراً في الأدبْ

آخذُ صفراً في الإلقاءْ

أرسبُ في مادةِ الغزلْ

لأنني لم أستطعْ أن أقولَ بجملةً مفيدهْ

كم أنتِ رائعهْ

وكم أنا مقصّرٌ في مذاكرةِ وجهِك الجميلْ

وفي قراءةِ الجزءِ العاشرِ بعد الألفْ..

من شَعْرِكِ الطويلْ...

(٣)

اشتغلتُ عاماً كاملاً

على قصيدةٍ تلبسينها عام ١٩٨٠

كلّ الهدايا متوفرةٌ في الأسواقْ

إلا هدايا القلبْ

كلّ الأساورِ صغيرةٌ على يديْكِ

إلا أساورَ حناني...

اثني عشرَ شهراً.. وأنا أشتغل

كدودةِ الحريرِ أشتغلْ..

مرةً بخيطٍورديّ..

ومرةً بخيطٍ برتقاليّ..
حيناً بأسلاكِ الذهبْ
وحيناً بأسلاكِ الفضهْ
لأفاجئكِ بأغنيهْ..
تضعيها على كتفيْكِ كشالِ الكشميرْ..
ليلة رأس السنهْ..
وتثيرينَ بها مخيلةَ الرجالِ .. وغيرةَ النساءْ..

(٤)

اثني عشر شهراً..
وأنا أعملُ كصائغٍ من آسيا..
في تركيبِ قصيدةٍ..
تليقُ بمجدِ عينيكِ..
أشكّ اللؤلؤةَ باللؤلؤهْ..
والياقوتةَ بالياقوتهْ..

والدمعةَ بالدمعهْ..
و أصنعُ منها حبلاً طويلاً .. طويلاً من الكلماتْ
أضعهُ حولَ عنقكِ .. وأنا أبكي...
اثني عشرَ شهراً
وأنا أعملُ كنسّاجي الشامْ
وفلورنسا .. والصين .. وبلاد فارس
في حياكة عباءةٍ من العشقْ..
لا يعرفُ مثلَها تاريخُ العباءاتْ.
ولا تاريخُ الرجالْ..

(٥)

اثني عشرَ شهراً..
وأنا في أكاديميةِ الفنونِ الجميلهْ
أرسمُ خيولاً بالحبر الصينيّ
تشبهُ انفلاتَ شعرِكْ

و أعجنُ بالسيراميك أشكالاً لولبيهْ
تشبهُ استدارةَ نهديك..
على القماشِ رسمتْ..
وعلى الزجاجِ رسمتْ..
وعلى المطرِ .. والبحرِ .. ودفاترِ الليلِ رسمتْ..
صنعتُ الأصواتَ التي لها رائحهْ..
والرائحةَ التي لها صوتْ..
ورسمتُ حولَ خصرك ريحا بالقلم الأخضرْ..
حتى لا يخطر بباله أن يصبحَ فراشةً ..ْويطير
اثني عشرَ شهراً..
وأنا أكسُر اللغةَ إلى نصفينْ..
والقمرَ إلى قمرينْ..
قمر تستلمينهُ الآنْ..
وقمرٍ تستلمينهُ في بريد عام ١٩٨٠

سأقول لكِ أحبك..

١

سأقولُ لك« أحبكِ..»

حينَ تنتهي كلّ لغاتِ العشق القديمهْ

فلا يبقى للعشاقِ شيءٌ يقولونهُ .. أو يفعلونهْ..

عندئذ ستبدأ مهمتي..

في تغيير حجارةِ هذا العالمْ..

وفي تغيير هندستهْ..

شجرةً بعدَ شجرهْ..

وكوكباً بعدَ كوكبْ..

وقصيدةً بعدَ قصيدهْ..

٢

سأقولُ لكِ «أحبكِ»..

عندما أشعر أن كلماتي صارتْ تستحقُّكِ..

وتضيقُ المسافةُ بينَ عينيكِ وبينَ دفاتري..
ويصبحُ الهو اءُ الذي تتنفسينه يمرُّ برئتي أنا ..
وتصبحُ اليدُ التي تضعيها على مقعد السيارة..
هي يدي أنا..
سأقولُها ، عندما أصبحُ قادراً ،
على استحضار طفولتي ، وخيولي ، وعساكري ،
ومراكبي الورقيهْ..
واستعادة الزمنِ الأزرقِ معكِ على شواطئِ بيروتْ.
حين كنتِ ترتعشين كسمكةٍ بينَ أصابعي..
فأغطيكِ، عندما تنعسينْ..
بشرشفٍ من نجومِ الصيفْ..

٣

سأقولُ لكِ «أحبُّكِ»
عندما أشعرُ أن الأرضَ حتى تدورَ بحاجةٍ إليكِ

وسنابلَ القمح حتى تنضجَ .. بحاجةٍ إليكِ..
والفصولَ حتى تتعاقبَ .. بحاجةٍ إليكِ..
والينابيعَ حتى تنفجرْ..
والحضارةَ حتى تتحضرْ..
والعصافيرَ حتى تتعلمَ الطيرانْ..
والفراشاتِ حتى تتعلمَ الرسمْ..
وأنا حتى أمارس الفتوَّهْ
بحاجةٍ إليكِ..

٤

سأقولُ لكِ «أحبكِ»
عندما تسقط الحدودُ نهائياً بينَكِ وبين القصيدهْ..
ويصبح النومُ على ورقةِ الكتابهْ
شهياً ومدمراً كالنومِ معكِ..
ليسَ الأمرُ سهلاً كما تتصورينْ..

فأنا لا أستطيعُ أن أحبَّ امرأهْ..
خارجَ إيقاعاتِ الشعرْ..
ولا أن أدخلَ في حوارٍ مع جسدٍ لا أعرفُ أن أتهجاهْ
كلمةً كلمهْ..
ومقطعاً مقطعاً..
إنني لا أعاني من عقدةِ المثقفينْ..
لكنّ طبيعتي ترفضُ الأجسادَ التي لا تتكلمُ بذكاءْ
والعيونَ التي لا تطرحُ الأسئلهْ..
إن شرطَ الشهوةَ عندي ، مرتبطٌ بشرطِ الشعرْ
فالمرأة قصيدةٌ أموتُ عندما أكتبها..
أموتُ عندما أنساها..

٥

سأقولُ لكِ «أحبكِ»
عندما أبرأ من حالة الفصامِ التي تمزقني ..

وأعودُ شخصاً واحداً..

سأقولُ عندما تتصالح المدينةُ والصحراءُ في داخلي .

وترحل كل القبائلِ عن شواطئ دمي ..

وأتحررمن الوشمِ الأزرقْ ..

الذي حفره حكماء العالمُ الثالثُ فوقَ جسدي ..

ومن كلِّ وصفاتِ الطبِّ العربيْ

التي جربتُها على مدى ثلاثين عاما ...

فشوهَتْ ذكورتي ..

وأصدرتْ حكماً بجلدِك ثمانين جلدْه..

بتهمةِ الأنوثة ...

لذلك . لن أقولَ لكِ «أحبكِ».. اليومْ ..

وربما لن أقول غداً ..

فالأرضُ تأخذ تسعةَ شهور لتطلع زهرهْ

والليلُ يتعذبُ كثيراً .. ليلد نجمهْ ..

والبشريةُ تنتظر ألوفَ السنواتِ .. لتُطْلِعَ نبيا ..

فلماذا لا تنتظرينَ بعضَ الوقتِ ..

لتُصبحي حبيبتي ؟؟.

***

هل تجيئين معي إلى البحر؟

١

هل تجيئينَ معي إلى البحرْ ؟

هل تهربين معي من الزمنِ اليابسِ إلى زمنِ الماءْ

فنحنُ منذُ ثلاثِ سنينْ

لم ندخلْ في احتمالاتِ اللونِ الأزرقْ

لم نمسكْ بأيدينا..

أفقاً..

أو حُلماً.. أو قصيدهْ..

لقد جعلتنا الحربُ الأهليةُ حيوانينِ برِّيينْ

يتكلمانِ دونَ شهيهْ..

ويتناسلانِ دونَ شهيهْ

ويلتصقانِ ببعضِهما بصمغِ العاداتِ المكتسبهْ

فهوتي التركيةُ عادةٌ مكتسبهْ..

وحمامكِ الصباحي عادةٌ مكتسبهْ.

و لونُ مناشفكِ عادةٌ مكتسبهْ....

فلماذا لا تلبسينَ قبعةَ الشمس ؟

وتأتينَ معي..

إنني ضجرتُ من هذه العلاقةِ الأكاديميهْ

التي أعطتْكِ شكلَ النساءِ المتزوجاتِ دونَ حبّ

وأعطيتِني..

شكلَ القصيدة العموديهْ...

* * *

٢

كلُّ الأشياء بينَ يديْنا..

هشةٌ .. وقابلةٌ للكسرْ..

كل أيامِ الأحدْ..

تتشابهُ كمنشورٍ سياسيّ

كلُّ أنواعِ الكحولْ..
لها مذاقٌ واحدٌ .. ومفعولٌ واحدْ
كل الطرقاتِ إلى نهديكِ
تؤدي إلى الانتحارْ..
فلماذا .. لا نخرج إلى البحرْ ؟
إنّ البحرَ لا يكرر نفسهْ..
ولا يعيدُ كتابةَ قصائدهِ القديمهْ..
البحرُ .. هُو التغير والولادهْ ..
وأنا أريدكِ أن تتغيري .. وأن تغيريني..
أريدُ أن ألدك .. وأن تلديني..
أريدُ أن تنقشي بالخطِّ الكوفيِّ على جلدكْ
كما تنقش المرأة العاشقةُ..
اسمَ رجلِها على صدرِها..
قبلَ أن يذهبَ إلى الحربْ..

أريدُ أن أمشي معكِ في شارعِ الشعرْ..
وأنام معكِ تحتَ شجرِ الشعرْ..
وأضعَ في يديكِ الصغيرتين أساورَ الشعرْ..
أريدُ أن أطلقَ سراحَكِ من هذه الزنزانة العربيهْ
التي أعطتكِ شكلَ النساء المتزوجات دون حب..
وأعطتني شكلَ القصيدة العموديهْ...

٣

لقد انفجرتْ بيروتُ بينَ أصابعي..
كدواة بنفسجيهْ..
ودخلتْ شظاياها في صوتي وفي أوراقي..
فساعديني على ترميمِ وجهي..
وترميم لغتي
فاللغةُ قطارٌ ليليٌّ بطيء
ينتحر فيه المسافرونَ من شدةِ الضجرْ

فتعالي نطلق النارَ على الأحرفِ الأبجديهْ..
ألا يمكنني أن أحبَّكِ خارجَ المخطوطاتِ العربيهْ ؟
وخارجَ الفرماناتِ العربيهْ..
وخارجَ أنظمةِ المرورِ العربيهْ..
وخارجَ الأوزانِ العربيهْ..
فعولنْ مفاعيلنْ فعولنْ مفاعيلنْ..
ألا يمكنني أن أجلسَ معكِ في الكافيتيريا ؟
دون أن يجلسَ معنا امرؤ القيسْ ؟
فعولنْ مفاعيلنْ فعولنْ مفاعيلنْ..
ألا يمكنني أن أدعوكِ للرقصْ ؟
دون أن يرقصَ معنا البحتريْ..
فعولنْ مفاعيلنْ فعولنْ مفاعيلنْ..
ثمّ .. ألا يمكنني أن أوصلكِ إلى منزلك في لتنتظرين آخر الليل..

إلا بحراسة رجلِ المخابرات عنترة العبسي..

آهٍ.. كم هو متعبٌ أن أتغزل بعينيكِ..

وأنا تحت الحراسهْ..

وأتجولَ في ليلِ شعرِك.. وأنا تحت الحراسهْ....

آهٍ.. كم هو متعبٌ..

أن أحبكِ بين فتحتينِ..

أو همزتينِ..

أو نقطتينِ..

فلماذا لا نرمي بأنفسِنا من قطارِ اللعنهْ. ؟

ونتكلم لغةَ البحرْ ؟

٤

هل تجيئين معي إلى البحرْ ؟

لنحتمي تحتَ عباءتِه الزرقاءْ..

هل أبوحُ لكِ بسرّ صغيرْ ؟

إنني أصيرُ قبيحاً عندما لا أكتبْ..

و أصيرُ قبيحاً عندما لا أعشقْ..

فساعديني على استعادةِ المجديْنْ..

مجدِ الكتابةِ .. ومجدِ العشقْ..

٥

هل تدخلينَ معي في احتمالاتِ اللونِ الأزرقْ..

واحتمالاتِ الغرقِ والدوارْ..

واحتمالاتِ الوجهِ الآخرِ للحبْ..

لقد دمرتني العلاقةُ ذاتَ البعدِ الواحدْ

والحوارُ ذو الصوتِ الواحدْ..

والجنسُ ذو الإيقاعِ الواحدْ..

فلماذا لا تخلعين جلدَكِ..

وتلبسينَ جلدَ البحرْ ؟

لماذا لا تخلعينَ طقسَكِ المعتدلْ ؟.

وتلبسينَ جنوني..

لماذا لا تخلعينَ ثوبَ الغبارِ .. وتلبسينَ أمطاري ؟..

لقد تكدسَ على شفاهِنا شوكٌ كثيرٌ ..

وضجرٌ كثيرْ..

فلماذا لا نثورُ على هذه العلاقة الأكاديميهْ..

التي أعطتكِ شكلَ النساءِ المتزوجاتْ..

وأعطتني شكلَ القصيدة العموديهْ..!!

***

كيف ؟

١

كيف أتعاملُ معكِ..

كيفْ ؟

أيّ المفاتيحِ تفتحُ أبوابَ مملكتِكْ ؟

أيّ القصائدِ تدخلني إلى قاعةِ العرشْ ؟

أي نوعٍ من النبيذْ..

أقدمهُ لرشوةِ حراسكْ ؟

طبقتُ عليكِ علومَ الأولينَ والآخرينْ

وحكمةَ الفلاسفةِ .. وجنونَ المجانينْ..

لم أتركْ كتاباً من كتبِ العشقِ .. إلا قرأتهْ..

ولا عشبةً من أعشابِ الصينِ .. إلا تعاطيتها..

ولا رياضةً هنديةً للتغلبِ على النفس..

إلا مارستُها..

فلا الأعشابُ الصينيةُ نفعتني..

ولا الطقوسُ البوذيةُ نفعتني ..

ولا مؤ لفاتُ العشقِ .. نفعتني..

أيتها المرأةُ التي لم تكتبْها الكتبْ..

٢

..

استعملتُ معكِ كلَّ الطرق

التي يستعملها الرجالُ لاستمالةِ النساءْ

حاو لتُ اللجوءَ إلى ضارباتِ الودع .. ففشلتْ..

وإلى مستحضري الأرواحِ .. ففشلتْ..

حاو لتُ أن أعاقبَكِ بالذهابِ مع امرأةٍ أخرى..

فعاقبتُ نفسي..

دليني على طريقةٍ أنتصرُ فيها عليكِ...

فكلما ضربتُ نهديْكِ بالسياط..

تفجر الدمُ من جسدي ..

٣

أيتها المرأةُ في كلِّ شيءْ..
والقادرةُ على كلّ شيءْ..
معكِ .. لا ينفع عنفٌ ولا خشونهْ
لا ينفع هجرٌ ولا خيانهْ..
كلّ الخياناتِ هي في مصلحتِكْ..
كلما دخلتُ إلى بيتِ امرأهْ..
خرجتِ إليّ من وراءِ الستائرْ ..
كلما مارستُ الحبَّ مع امرأةٍ أخرى ..
حبلتِ أنتِ...!!

***

شيزوفرينيا

١

بيني وبينكِ علاقةُ حبّ صعبهْ

لا أفكرُ في مقاومتِها..

أو الاحتجاجِ عليها.

فالحبُّ الكبيرُ هو دائماً حبٌّ صعبْ

وليس صحيحاً أنه يأتينا على عربةٍ تجرُّها الملائكهْ..

وليس صحيحًا..

أننا نجدهُ مختبئاً كالقمرِ تحتَ شراشفنا..

أو كشامةٍ زرقاءْ

تحتَ خاصرتِنا اليسرى..

٢

بيني وبينك لغةٌ لا تزالُ في طورِ التشكيلْ..

وكلامٌ لم يتعلمْ بعدُ.. كلّ الكلامْ..

ودفاترُ لا تزالُ تنتظرُ نهداً ينقطُ فوقَها عسلاً..
وذهباً .. وبهاراً هنديّاً..
بيني وبينك ، كهنةٌ .. وعرافونَ .. وفناجينُ
قهوةٍ لم تفتحْ..
وعلاماتُ حبٍّ قادمٍ..
تشبهُ علاماتِ يومِ القيامهْ..
ونبوءاتٌ عن أنهارٍ ستفيضْ..
وكنوزٍ ستتوهجْ..
وحُوَيْناتٍ شعرية ستتلقحْ..
وأطفالٍ سيذهبونَ كلَّ صباحٍ إلى مدرسةِ البنفسجْ...

٣

بيني وبينك طقسٌ رماديٌّ يميلُ إلى المطرْ..
وأنا أشتهيك تحتَ المطرْ..
وقبلَ المطرْ..

وبعدَ المطرْ..
وأستنشقُكِ كما يستنشقُ الأرنبُ
أعشابَ البراري..
بيني وبينكِ حالةٌ من الشِّعِرِ لم أكتبها بعدْ..
وحالةٌ من النبوءةِ لم أبشّرْ بها الناسَ بعدْ..
وحالةٌ من الانخطافِ..
تجعلني سيدَ الدراويشْ..
بيني وبينكِ أسئلةٌ لا أريدها أن تجابْ..
وتناقضاتٌ جميلةٌ ليس من مصلحةِ الحبّ أن تنتهي ..
وخصوماتٌ طفوليةٌ..
ليس من مصلحةِ الشعِرِ أن تُحسمْ..
وعاداتٌ صغيرهْ..
تتسلقُ على رفوفِ الكتبْ .. وورقِ الجدرانْ..
وتترسبُ مع البنّ في فناجينِ القهوهْ ..

٤

بيني وبينكِ فضيحةٌ غيرُ معلَنهْ..

وزلازلُ مجهولةُ التوقيتْ..

وجريمةُ عشقٍ قابلةٌ للتنفيذِ في أية لحظهْ..

بيني وبينكِ شوارعُ نصفَ مضيئهْ..

وستائر نصفَ مغلقهْ

وقطاراتٌ ليليةٌ أسمعُ صفيرَها .. ولا أراها..

و أشجارُ أناناسٍ .. أجلسُ تحتَها..

وأهذي في نومي..

٥

بيني وبينك بلادٌ من العطشْ..

ومنحرفونَ شعريّاً .. وجنسيّاً يرفضونَ أنوثتَكِ..

كما يرفضونَ قصائدي..

بيني وبينَكِ طغاةٌ .. ومخبرونَ .. ومراكزُ قوًى..

وشركاتٌ مساهمةٌ لمكافحةِ الحبِّ، والثورةِ، والكتابهْ ..

بيني وبينِك..

رجالٌ يطفون كقطعِ الفلين على سطحِ الشعر..

ونساءٌ .. يبعنَ أساورَهنّ..

ويقطعنَ أيديهنّ من أجل الشعرْ..

٦

بيني وبينِك..

مجتمعٌ من الصيارفةِ لا يمكنُ اختراقهْ.

ومجتمعٌ من البطاركهْ..

لا يعترفُ حتى الآنَ بشرعية عينيكِ..

وفقهاءُ..

ومجتهدونَ..

ومُفسرونْ..

قرروا بإجماعِ الآراء سفكَ دمي

وشطبَ شعري من مناهجِ وزارة التربيهْ..
حتى لا تتكحلَ به بناتُ القبيلهْ....

❊ ❊ ❊

مخطط لاختطاف امرأة أحبها..

١

لا مبررَ لإعلانِ حبي لكِ في السنةِ الجديدهْ
فكلّ السنواتِ تبدأ بكِ..
وتنتهي فيكِ..
ساكونُ مضحكاً لو فعلتُ ذلك ،
لأنكِ تسكنينَ الزمنَ كلهْ..
وتسيطرينَ على مداخلِ الوقتْ
إن ولائي لكِ لم يتغير.
كنتِ سلطانتي في العامِ الذي مضى..
وستبقين سلطانتي في العامِ الذي سيأتي..
ولا أفكرُ في إقصائِكِ عن السلطهْ..
فأنا مقتنعٌ..
بعدالة اللونِ الأسودِ في عينيكِ الواسعتيْن..

وبطريقتكِ البدويةِ في ممارسةِ الحبّ ..

٢

إنني أحبُّكِ..

ولا أجدُ ضرورةً للصراخِ بنبرةٍ مسرحيهْ:

« هذه هي حبيبتي »..

فالمسمَّى لا يحتاجُ إلى تسميهْ

والمؤكد لا يحتاجُ إلى تأكيدْ..

إنني لا أؤمنُ بجدوى الفنِّ الاستعراضي ..

ولا يعنيني أن أجعلَ قصتَنا..

مادةً للعلاقات العامهْ..

سأكونُ غبيًّا..

لو وقفتُ فوقَ حجرٍ..

أو فوقَ غيمهْ..

وكشفتُ جميعَ أوراقي..

فهذا لا يضيفُ إلى عينيكِ بعداً ثالثاً..

ولا يضيف إلى جنوني دليلاً جديدًا..

إنني أفضلُ أن أستبقيَكِ في جسدي

طفلاً مستحيلَ الولادهْ..

وطعنةً سريةً لا يشعرُ بها أحدٌ غيري..

٣

لا تبحثي عني ليلةِ رأسِ السنْه

فلن أكونَ معك..

ولن اكونَ مع أيّ امرأهْ..

ولن أكونَ في أي مكانْ

فكرْنفالاتُ الفرحِ القسري لم تعدْ تعني لي شيئًا.

إننيَ لا أشعرُ بالرغبةِ في الموتِ مشنوقا

في أحدِ مطاعمِ الدرجةِ الأولى..

حيثُ الحبّ.. طبقٌ من الحساءِ الباردِ لا يقربهُ أحدْ..

وحيثُ الأغبياءُ يوصونَ على ابتساماتِهم
قبلَ شهرينِ من تاريخ التسليمْ..

٤

لا تنتظريني في القاعاتِ التي تنتحرُ بموسيقى الجازْ..
فليس باستطاعتي الدخولُ في هذا الفرحِ الكيميائيّ
حيثُ النبيذُ هو الحاكمُ بأمرهْ ..
والطبلُ .. هو سيدُ المتكلمينْ..
لن أحضرَ يا سيدتي..
فلقد شفيتُ من الحماقاتِ التي كانتْ تنتابني كلّ عامْ
كنوبةِ زكامْ..
وأعلنتُ لكلّ السيداتِ المتحفزاتِ للرقصِ معي..
أنّ جسدي لم يعدْ معروضاً للإيجارْ..
وأن فمي ليس جمعيةً تعاونيهْ
توزعُ على الجميلاتِ أكياسَ الغزلِ المصطنعْ

والمجاملاتِ الفارغهْ..
إنني لم أعدْ قادراً على ممارسةِ الكذبِ الأبيضْ
وتقديمِ المزيدِ من التنازلاتِ اللغويهْ..
والعاطفيهْ.....

٥

اقبلي اعتذاري .. يا سيدتي
فهذه ليلةُ تأميمِ العواطفْ
وأنا أرفضُ تأميمَ حبي لكِ..
أرفضُ أن أتخلى عن أسراري الصغيرهْ
لأجعلكِ مُلصقا على حائطْ..
فهذه ليلةُ الوجوهِ المتشابهْ..
والضحكاتِ المتشابهْ..
والتفاهاتِ المتشابهْ..
وأنتِ لا تشبهينَ أحداً .. ولا يشبهكِ أحدْ.

أنتِ لا تشبهينَ إلا حزني..
ولا تشبهينَ إلا الشِّعرْ..

٦

لن أكونَ معكِ هذه الليلهْ..
ولن أكونَ في أيّ مكانْ..
فقد اشتريتُ مراكبَ ذاتَ أشرعةٍ بنفسجيهْ..
وقطاراتٍ لا تتوقف إلا في محطةِ عينيْكِ..
وطائراتٍ من الورق تطيرُ بقوةِ الحبّ وحدهْ ..
واشتريتُ ورقاً .. وأقلاماً ملونهْ
وقررتُ .. أن أسهرَ مع طفولتي....

تكتبين الشعر .. وأوقع أنا..

١

ليس لي لقدرةُ على تغييرِك ا
أو على تفسيرِكْ..
لا تصدقي أنّ رجلاً يمكنه تغييرُ امرأةْ..
وباطلةٌ دعاوَى كلّ الرجالِ الذين يتوهمون ،
أنهم صنعوا المرأةَ من أحد أضلاعهمْ..
المرأة لا تخرج من ضلعِ الرجل أبداً..
هو الذي يخرجُ من حوضِها..
كما تخرجُ السمكةُ من حوضِ الماءْ
وهو الذي يتفرعُ منها ،
كما تتفرعُ السواقي من النهرْ..
وهو الذي يدورُ حولَ شمسِ عينيها..
ويتصورُ أنه ثابتٌ في مكانِهْ..

٢

ليس لي القدرةُ على تعليمِكِ أي شيءْ..

فنهداكِ دائرتا معارفْ..

وشفتاكِ هما خلاصةُ تاريخ النبيذْ

إنكِ امرأةٌ مكتفيةٌ بذاتها

زيتكِ منكِ..

وقمحُكِ منكِ..

ونارُكِ منكِ..

وصيفُكِ وشتاؤُكِ..

وبرقكِ ورعدُكِ..

ومطرُكِ وثلجكِ..

وموجُكِ وزَبَدُكِ .. كلُّها منكِ..

ماذا أعلمكِ يا امرأهْ ؟

من يستطيعُ أن يقنعَ سنجاباً بالذهابِ إلى المدرسهْ ؟

من يستطيُع أن يقنعَ سيامياً بالعزفِ على البيانو ؟
من يستطيعُ أن يقنعَ سمكةَ القرشْ..
بأن تصبحَ راهبةْ..

٣

ليس لي القدرةُ على ترويضِك..
أو تدجينِك..
أو تهذيبِ غرائزِكِ الأولى.
هذه مهمةٌ مستحيلةْ..
لقد جربتُ ذكائي معكِ..
وجربتُ أيضاً غبائي..
فلم تنفعْ معكِ هدايةٌ ولا غوايةْ.
خليكِ بدائيةً كما أنتِ..
خليكِ مزاجيةً كما أنتِ..
خليكِ هجوميةً كما أنتِ..

ماذا يبقى من إفريقيا ؟...

إذا أخذنا منها نمورَها .. وبهاراتها..

ماذا يبقى من جزيرةِ العربْ ؟

إذا أخذنا منها..

مجدَ النفطِ..

ومجدَ الصهيلْ!!

٤

ليس لي القدرةُ على كسرِ عاداتكْ..

هكذا أنتِ منذ ثلاثينَ سنهْ

منذُ ثلاثمئةِ سنهْ..

منذ ثلاثةِ آلافِ سنهْ..

إعصارٌ محبوسٌ في زجاجهْ..

جسدٌ يتحسس رائحةَ الرجلِ بالفطرهْ..

ويهاجمه بالفطرهْ..

وينتصرُ عليه بالفطرهْ..

فلا تصدقي ما يقوله الرجلُ عن نفسِهْ،

بأنه هو الذي يصنعُ القصائدْ..

ويصنعُ الأطفالْ..

إن المرأةَ هي التي تكتبُ الشعرْ..

والرجل هو الذي يوقعهْ..

والمرأةُ هي التي تنجبُ الأطفالْ..

والرجلُ هو الذي يوقع في مستشفى الولادهْ..

بأنه أصبحَ أباً!!.

٥

ليس لي القدرةُ على تغييرِ طبيعتكْ..

لا كتبي تنفعكِ..

ولاقناعاتي تقنعكِ..

ولا نصائحي الأبويةُ تفيدُكْ..

أنتِ ملكةُ الفوضَى ، والجنونِ ، وعدمِ الانتماءْ

فظلي كما أنتِ..

أنتِ شجرةُ الأنوثةِ التي تكبرُ في العتمةْ..

ولا تحتاجُ إلى شمسٍ وماءْ..

أنتِ أميرةُ البحرِ التي أحبتْ كلّ الرجالْ

ولم تحبَّ أحداً..

وضاجعتْ كلَّ الرجال .. ولم تضاجعْ أحداً..

أنتِ البدويةُ التي ذهبتْ مع كلِّ القبائلْ

وعادتْ عذراءْ..

فظلي كما أنتِ..

***

إلى سيدة تصطنع الهدوء

١

خذي وقتكِ، يا سيدتي العزيزهْ

فلا أحدَ يرغمُكِ على الإدلاءِ باعترافاتٍ كاذبهْ

ولا أحدَ يريدُ منكِ أن تفعلي الحبّ ..

تحتَ تأثيرِ الخمرة .. أو المخدرْ..

كما لو كنتِ تخلعينَ أحدَ أضراسِكْ..

لستِ مضطرةً للتبرعِ بنصفِ فمكْ..

..

قابلةٌ

أو نصف يدكْ

فلا الشفاهُ قابلة للقسمهْ ..

ولا الأشواقُ قابلةٌ للقسمهْ..

ولا الأنوثةُ قابلةٌ للقسمهْ..

هذا هو الموقفُ يا سيدتي ..
فلا تخاطبيني وأنتِ مضطجعةٌ على سريركِ الملكيّ
فآخرُ اهتماماتي .. سَنْدُ خاصرةِ الملكاتْ..
وقراءةُ شعري..
في مجالسِ الملكاتْ..

٢

خذي الوقتَ الذي تستغرقهُ اللؤلؤةُ لتتشكلْ.
والسنونوةُ لتصنعَ بجناحَيها صيفاً..
خذي الوقتَ الذي تستغرقهُ الدمعةُ..
لتصبحَ كتابَ شعرْ..
خذي الوقتَ الذي يستغرقهُ النهدُ ..
ليصبحَ حصاناً أبيْض..
خذي الأزمنةَ التي ذهبتْ..
والأزمنة التي سوف تأتي..

فالمسافةُ طويلهْ..
بين آخرِ النبيذِ .. وأول الكتابهْ
وأنا لستُ مستعجلاً عليكِ..
أو على الشعرْ..
فا لعيونُ الجميلةُ غيرُ قابلةٍ للاغتصابْ..
والكلماتُ الجميلةُ غيرُ قابلةٍ للاغتصابْ..
والذين لهمْ خبرةٌ بشؤون البحرْ..
يعرفونَ أنّ السفنَ الذكيةَ لا تستعجلُ الوصولْ..
وأن السواحلَ هي شيخوخة المراكبْ..

٣

خذي وقتَكِ..
أيتها السيدةُ التي تصطنعُ الهدوءْ
إنني لا أطالبكِ بارتجالِ العواطفْ..
فلا أحدَ يستطيع تفجيرَ ماءِ الينابيعْ

ولا أحدَ يستطيعُ رشوةَ البرقِ والرعدْ..
ولا أحدَ يستطيعُ إكراهَ قصيدةٍ
على النوم مع شاعرٍ لا تريدهْ..

٤

خذي وقتكِ .. أيتها الهوائيةُ الأطوارْ..
يا امرأةَ التحولات ، والطقس الذي لا يستقرّ
أيتها المسافرةُ بين القطبِ .. وخطِّ الاستواءْ
بين انفجارات الشعرِ .. ورمادِ الكلام اليومي
خذي وقتكِ..
خذي وقتكِ..
إن نارَ الحطبِ لا تزال في أولها..
ونارَ القصيدةِ لا تزال في أولها..
وأنا لستُ مستعجلاً على انشقاق البحرْ..
وذوبانِ الثلوجِ .. على مرتفعات نهديكْ..

إنني لا أطالبكِ بإحراقِ سفنكْ..

والتخلي عن مملكتك .. وحاشيتكْ .. وامتيازاتك الطبقيهْ..

لا أطالبكِ بأن تركبي معي فرسَ الجنونْ..

فا لجنونُ هو موهبةُ الفقراءِ وحدهم..

وأنتِ تريدينَ أن تحتفظي بتاجِ الملكاتْ..

لا بتاج الكلماتْ..

أنتِ امرأةُ العقلِ الذي يحسب حساباً لكل شيءْ

وأنا رجلُ الشعرِ الذي لا يقيم حساباً لأيِّ شيءْ..

❊ ❊ ❊

أيتها السيدة التي
استقالت من أنوثتها..

١

أيتها السيدةُ التي استقالت من أنوثتِها..
ومن أمشاطِها ، ومكاحِلها ، وأساورِ يديْها.
كان اللهُ في عونكْ..
أيتها السيدةُ التي استقالتْ من رنينِ البيانو..
ورنين النبيذِ الأحمرِ .. ورنينِ شهواتي..
كان اللهُ في عوني..
أيتها السيدةُ التي استقالتْ من نهديها..
ووضعتهما كتفاحتين في ثلاجهْ..
كان الله في عونِ المرايا..

٢

أيتها الرصينةُ كموظفةٍ في بنكٍ عربي مؤمَّمْ..

ابتسمي قليلاً..

ففمُكِ لا بأس به إذا رششتهِ بماء الفرحْ..

وعيناكِ لا بأسَ بهما..

إذا كحلتهما بقليلٍ من الحنانْ..

اكسري الزجاجَ الذي يفصلُ بين صوتي

وغاباتِك الشاسعهْ

بين أصابعي .. وأقاليمِكِ الاستوائيهْ..

بينَ حصاني . ومزارعِكِ الطازجةِ العشبْ...

٣

أيتها المتثقفة إلى درجةِ التجلدْ..

الأكاديميةُ إلى درجةِ القشعريرهْ..

أيتها المحاصرهْ..

بين جدرانِ الكلماتِ المأثورهْ..

وتعاليمِ حكماءِ الهندْ..

ولزومياتِ ما لا يلزمْ..

أنتِ مأخوذةٌ بأبي العتاهيهْ

وأنا مأخوذ بالشعراءِ الصعاليكْ..

أنتِ مهتمةٌ بالمعتزلهْ..

وأنا مهتمٌ بأبي نواسْ

أنتِ معجبةٌ برقصِ (الباليهْ)

وأنا معجبٌ برقص الدراويشْ..

أنتِ تسكنينَ مراكبَ الورقْ..

وأنا أسكنُ البحْرْ..

أنتِ تسكنينَ الطمأنينهْ..

وأنا أسكنُ الانتحارْ..

٤

أيتها السيدة المضطجعةُ على رفوفِ الكتبْ..

أيتها الضائعةُ في غبارِ النصوصْ...

إنّ دمي أنقى من حبرِ مخطوطاتكْ...
وقراءةُ فمي ... أهمّ من جميعِ قراءاتكْ..
فلماذا لا تتثقفينَ على يدي ؟
فأنا الثقافةُ .. أنا الثقافةُ .. أن الثقافهْ..
أنا الذي أستطيعُ أن أحوّلَ نهدَكِ إلى حمامهْ
وفخذيْكِ إلى سبيكتيْ ذهبْ..
وفمكِ إلى عشٍّ للعصافيْر..
أنا الذي أستطيعُ أن أجعلَكِ..
ملكةً .. أو جاريهْ..
سمكةً .. أو غزالهْ..
أو قمراً في باديهْ...

٥

أيتها السيدةُ المستنكفةُ عن السفرِ الليليّ..
أيتها الخائفةُ من رائحةِ الرجلْ..

ورائحةِ المراكبْ..
أيتها السمكةُ التي لا تريدُ أن تسبحْ..
ولا تريدُ أن تغرقْ..
لماذا لا تتتلمذين على يدي ؟..
إنني أعرف كلّ شيءٍ عن النساءِ .. والنباتاتِ المتسلقةْ..
والحيواناتِ الأليفةِ .. والحيواناتِ المفترسةْ...
لماذا لا تتتلمذينَ على يدي ؟
إنني أعرفُ كلّ شيءٍ عن العناصرِ الأربعةْ..
أعرف كلّ شيء عن كيمياءِ الأرضِ ..
وكيمياء الإنسانْ..
أعرفُ التفاحةَ كيف تستديرْ..
وغاباتِ القصبِ كيف تتشابكْ
والنمرَ كيفَ يقفزْ..
ونهدَ المرأة كيف يبحث عن فريستهْ..

٦

أيتها السيدةُ التي استقالتْ من كتبِ الشعرْ..
ودخلتْ في جدولِ الحسابْ..
واستقالتْ من الوردِ.. والماءِ.. والعصافيرْ..
ودخلتْ في اليأسْ..
لماذا لا تستعملينَ أعشابي الطبيعيهْ ؟..
لماذا لا تثقينَ بمعارفي ؟..
فأنا المعرفةُ..
أنا المعرفهْ..
هل ترينَ هذه العروقَ المنفجرةَ على وجه يدي ؟.
هل ترينَ هذه الشقوقَ المفتوحةَ على ضفافِ فمي ؟
هل تشمينَ رائحةَ الكبريتِ..
المتصاعدةَ من شراييني ؟
هذه هي شهاداتُ همجيتي.. وجنوني...

وهي كلُّها من مرتبةِ الشرفِ .. كما تلاحظينْ
فهل ثمة وظيفةٌ شاغرهْ ؟..
لحد ائقيٍّ .. يطلبُ عملاً في بساتين عينيكِ ؟..

٧

أيتها السيدةُ التي تتعاملُ معي..
بميزان صيد ليّ..
وتلامسُ يدي ، بحياد ممرضهْ..
إنني لا أتحملُ ثيابَكِ البيضاءْ..
وأسنانَكِ البيضاءْ..
وابتسامتكِ البيضاءْ..
لا أتحملْ كلّ هذا التنظيمْ..
في التعبيرِ عن غرائزي..
لا أتحملُ كلّ هذا المناخ المعقمْ..
والشراشفِ المعقمهْ..

والعواطف المعقمهْ..
لا أتحملُ أن أقفَ ساعاتٍ في طابور الفلاسفهْ
لأحصلَ منكِ على قبلهْ..
كلّ هذه الكتب التي تحيطُ بكِ .. أسماكٌ مجلدهْ..
كل هذه القوارير الكبيرة والصغيرة لا تخفضُ حرارتي..
فارميها جميعًا .. والتجئي إلى أعشابِ صدري..
كخروفٍ أبيضْ..

٨

أيتها السيدة القاسيةُ كناظرةٍ مدرسةٍ داخليهْ..
اعفيني من إرهابِكِ الثقافيّ ..
إن الطفلَ في داخلي ، يريدُ أن يلعبَ معكِ..
فلماذا لملمتِ كراتِكِ وانسحبتِ ؟
قد لا أكونُ عادلاً في لعبتي معكِ..
و لكنّ أطفالَ العالم كلَّهم مثلي .. لا يعرفون العدالهْ..

قد تكون سمعتي سيئةً في الشارع الذي تسكنينهْ..

ولكنني أعدكِ لو قبلتِ أن تلعبي معي مرةً ثانيهْ..

أن أجعلكِ تربحينْ..

فاربطي شعَركِ بشريطٍ أزرقْ..

واضربي الكرةَ أنتِ..

اضربي كرتين إذا أردتِ..

هاجمي أنتِ.. واقتحمي أنتِ..

واخرقي جسدي أنتِ..

فليسَ مهماً أن أربحَ أنا..

وليسَ مهماً ما ستكتبهُ الصحافةُ عني..

المهم أن تعرفَ الصحافهْ..

أن الإمبرياليةَ قد تكونُ امرأةْ.......

حوار مع امرأة.
على مشارف الأربعين...

١

ما الذي أستطيع أن أفعلهُ من أجلكْ ؟
أيتها السيدةُ التي بيني وبينها..
أسرارٌ غيرُ قابلةٍ للنشْرْ..
وذنوبٌ صغيرةٌ غيرُ قابلةٍ للغفرانْ..
إنني أفهمُ جيداً خلفياتِ حزنكْ..
لكنني لا أستطيعُ أن أمنعَ أيّ انقلابٍ ينفذهُ نَيْسانْ..
ضدّ نهديكِ المتمسكين بالسلطة..
إلى يومِ القيامهْ..

٢

صحيحٌ أنّ التاريخَ يعيدُ نفسهْ..
و لكنّ الأنوثةَ – يا سيدتي – لا تعيدُ نفسها أبداً..

إنها شرارةٌ لا تقبلُ النسخَ والتكرارْ..
هذا ما كنتُ أشرحهُ لكِ، وأنتِ في السادسةَ عشرةْ..
يومَ كانت الشمسُ لا تغيبُ عن ممتلكاتكْ ..
وجيوشكِ تملأ البحرَ والبرّ..
وجسدكِ الياسميني .. يأمرُ .. وينهى...
ويقولُ للشيءِ : كنْ .. فيكونْ....

٣

كيف أستطيعُ أن أساعدَكِ ؟
أيتها المرأةُ التي لم تساعدْ نفسَها..
ولم تحفظْ خطَّ تراجُعِها..
أيتها الطاغيةُ الصغيرةْ..
التي سحقتْ كلَّ معارضيها..
وأعدمتْ كهنتهَا وعَرَّافيها..
وأغلقت الصحفَ .. وسحقتْ الحرياتْ

ورفعتْ تماثيلَها في الساحات العامهْ..

ووضعتْ صورَها على طوابعِ البريدْ..

هل تتذكرين؟

كمْ كنتِ مجنونةً في السادسةَ عشرهْ

وكيف كنتِ تتحدثين .. كملوكِ فرنسا..

عن حقِّكِ الآلهي الذي لا يناقشْ..

في قتلِ كلّ رجلٍ..

يعشقُ امرأةً غيرَكِ من نساءِ المملكهْ..

وقتل كلّ امرأةٍ..

تخرجُ مع رجلٍ يعجبُكِ من رجالِ المملكهْ...

٤

ما الذي أستطيع أن أفعلهْ ؟

لأخففَ عنكِ وجع الهزيمهْ

ومرارةَ السقوطِ عن العرشْ..

أيتها السلطانةُ التي فقدتْ سلطانها

ما الذي أستطيعُ أن أفعلهُ ؟.

لأحرركِ من مركباتِ العظمة الفارغهْ..

وأعيد إلى عينيكِ السوداويْنِ لونَها الطبيعي..

وإلى نهديكِ الأحمقينْ..

شعبتيهما الضائعهْ!!

ما الذي أستطيعُ أن أفعلْ ؟

لأعيدَ جسدَكِ حليبياً كما كانْ

ونهدَكِ دائرياً كما كانْ

وعشقي لكِ .. بدائيّاً .. همجيّاً .. إنتحاريّاً...

كما كانْ...

في سالفِ الزمانْ!!



